مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255/E-ISSN 2588-2414
المجلد9 العدد1 – مارس 2022

OEB Univ. Publish. Co.

اَلتَّحْليلُ التّقَابُلِيُّ لِبَعْضِ التَّعَابِيرِ الْمَسْكُوكَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَنسيّة بَرَادِيغْم "الْجَسَدِ" أُنْمُوذَجا

(Contrastive Analysis of fixed Arabic - French expressions : An example : the body paradigm.)

محمد أمحدوك[1]*

الأكاديميّة الجهويّة للتّربية والتّكوين (المغرب)

amahdouk81@gmail.com

تاريخ التسليم:2020/10/25، تاريخ المراجعة: 2021/12/06،تاريخ القبول: 2022/03/10

الملخص

يتناولُ هذا المقالُ التّحليلَ الوصفيَّ – التّقابُليَّ لبعضِ التّعابيرِ المسكُوكةِ العربيّة والفرنسيّة الّتي تتكوّن من مركّباتٍ اسميّةٍ متعلّقةٍ ببراديغم الجسد، وذلك بالاستناد إلى متنٍ خاصٍّ يقوم على متواردات ومصفوفاتٍ لغويّةٍ مستقاةٍ من مصادر قاموسيّةٍ وشعبيّةٍ، بعيداً عن أيّ سياقٍ تواصليٍّ.

وتُحاول هذه الدّراسة استجلاءَ بعض أوجُهِ التّشابُه والاختلافِ الدّلاليّة والمعجميّة الّتي تُحيل عليها المسكُوكات اللّغويّة أو مقابلاتها الدّلاليّة، كما تسعى من منظُور هذه التّكافؤات إلى مُعالجة إشكاليّة لُغة – ثقافة في هاتين اللّغتين المتباينتين.

الكلمات المفتاحية: التّعابيرُ المسكُوكةُ؛ التّحليلُ التّقابليُّ؛ براديغم الجسَد، فرنسيّ / عربيّ، التّكَافُؤُ.

Abstract

This article focuses on the descriptive and contrastive analysis of certain fixed expressions, Arabic and French, containing nominal components linked to the paradigm of the body, based on a special corpus formed of lexicalized expressions identified from linguistic sources and lexicographical and popular matrices, far from any communication context.

This study attempts to elucidate some of the semantic and lexical similarities and divergences between these frozen sequences and their semantic equivalents in the two languages. She also seeks to address the issue of language-culture through these equivalences in these two disparate languages.

Keywords: Fixed expression - Contrastive analysis - Body paradigm - French / Arabic - Equivalence.

* **محمد أمحدوك: الاسم الكامل، الإيميل:** amahdouk81@gmail.com:

1. مقدّمة:

من بين المكوّنات اللّغويّة الأساسيّة الّتي يتمُّ اكتسابُها للتّمكّن من التّعبير، إلى جانب الكلمات البسيطة والمركّبة والمشتقّة، توجد مصفوفاتٌ لغويّةٌ شائعةٌ تتّسم بالثّبات وصعوبة التّنبّؤ بمعانيها اعتماداً على مكوّناتها الأوّلية، تعرف لسانيّاً ب"التّعابير المسكوكة" أو "التّعابير الجامدة" أو "التّعابير المتكلّسة". وهو الأمْرُ الّذي عبّر عنه ألان راي (Alain Rey) في قوله: "لا يتحدّد المعجم في مجموعةٍ من العناصر الدّنيا فقط، ولا حتّى في الكلمات البسيطة أو المركّبة، ولكن أيضاً في سلسلةٍ من العبارات الثّابتة الّتي يستحيل توقّع دلالاتها" (Rey et Chantreau, 1997, p. 14.).

ومن هذا المنطلق تسعى هذه الورقة إلى التّحليل الوصفيّ والتّقابليّ لبعض المسكوكات العربيّة والفرنسيّة الّتي تشتمل على حدودٍ اسميّةٍ متعلّقةٍ بأجزاء الجسم (اليد، والرّأس، والعين...). لا سيّما أنّ هاتين اللّغتين تشهدان غنىً واسعاً بهذه المتواليات اللّغويّة، ممّا لا يحتاج بيانه إلى برهانٍ أو إقامةِ دليلٍ؛ إذ تتضمّنان عباراتٍ كثيرةً تقوم على اسمين وأحياناً ثلاثة أسماء من "باراديغم الجسد"، ومن أمثلة ذلك:

- **في اللّغة الفرنسيّة:** (Mettre la main sur le cœur) "وضع يده على قلبه": (اليد + القلب)؛
- **في اللّغة العربيّة:** "ما في قلبه على رأس لسانه": (القلب + الرّأس + اللّسان).

وقد تكون استشارة بعض المعاجم العامّة كافيةً للتّأكّد من هذه المسألةِ؛ حيث تحضرُ تقريباً كلُّ أجزاء الجسد في البناء التّكوينيّ لهذه السّلاسل الكلاميّة، من أعلى الرّأس إلى أخمص القدمين؛ إذ غالباً ما يتوسّل الإنسان بمصطلحاتٍ معيّنةٍ تحيلُ على جسده ليعبّر بها عن مختلف مظاهر حياته، إن على المستوى الفكريّ أو المادّيّ أو الاجتماعيّ.

ويتألّف متنُ هذه الدّراسة من تعابير مسكوكةٍ مستقاةٍ من مصادر معجميّةٍ ومسارد عامّيّةٍ وشعبيّةٍ مختلفةٍ، بعيدًا عن أيّ مرجعٍ تواصليٍّ أو وضعيّةٍ خطابيّةٍ محدّدةٍ، فضلاً عن تعابير أخرى تنتمي إلى السّجلّ المعيار أكثر منه إلى السجلّ المحلّيّ الضّيّق. وتحاول استجلاء بعض أوجه الاختلاف والائتلاف الدّلاليّة في هذه المتواردات المعجميّة (المسكوكات)، وإبراز مكافئاتها في اللّغتين الفرنسيّة والعربيّة.

ولكن قبل معالجة هذا الجانب المركزيّ من موضوعنا، يجدر بنا التّأكيدُ على أصل بعض التّعابير الّتي تبدي مظهراً ثقافيّاً خاصّاً يرتبط بسننٍ وثقافةٍ معيّنين، ومن ثمّة الاعتمادُ عليه في إبراز خصوصيّة التّعابير المسكوكة في اللّغة العربيّة.

2. تأثيلُ التّعابيرِ المسكُوكَةِ: بعض الأمثلة الدّالّة

يعود أصل التّعبير الفرنسيّ المسكوك (être dans les bras de Morphée) "هو في أحضان مورفيوس" أو (tomber dans les bras de Morphée) "سقط في أحضان مورفيوس" (بمعنى: "نامَ")، إلى إحدى الأساطير اليونانيّة، الّتي تتمحور حول شخصيّة "مورفيوس"، وهو "إله الأحلام" (ابن اللّيل والنّوم) (Duneton, 2011)، ويكافئه في العربيّة العامّيّة التّعبير: "هو في سابع نومةٍ"، الّذي يُقابل حرفيّاً في اللّغة العربيّة المعيار ب: "هو في النّوم السّابع"، بمعنى أنّه غارقٌ في نومٍ عميقٍ.

وترجع المتواردة العربيّة "على ساقٍ" (على السّاق) إلى التّعبير القديم "قامت الحرب على ساقٍ"، بمعنى: "أصبحت الحرب أكثر حماسةً"، كما أنّ المسكوكة الأقرب منه "شمّرت الحرب عن ساقها" قديمةٌ أيضاً، وتفيد تفاقم الوضع وتدهور الأحوال؛ إذ كان الجنود العرب، سلفاً، يرتدون جنساً من الثّياب الطّويلة يعيق حركتهم، ويزيد من بطء سرعتهم (الدّشداشة (Dishdachah))، ممّا كان يجبرهم على "الكشف / التّشمير عن السّاق" لتيسير العدو أو لمزيدٍ من السّرعة.

ويحضر الكشف عن السّاق أيضاً في الآية الكريمة: "يوم يكشف عن ساقٍ ويدعون للسّجود فلا يستطيعون" (سورة القلم، الآية: 42)، ويحيل ب"اليوم" هنا على ذلك الزّمن الّذي سيعرض فيه الخلق أجمعين على اللّه سبحانه وتعالى، ويواجه كلٌّ مصيره المحتوم (يوم القيامة). ومن ثمّ كان الكشف عن السّاق في هذا التّعبير القرآنيّ صورةً بيانيّةً كنائيّةً توضيحيّةً خاصّةً؛ وقد احتفظ التّداول العربيّ فقط بالمركّب الحرفيّ "على ساق"، وأضاف له، بعد ذلك، اسمٌ آخر من "**براديغم الجسد**" هو "القدم"، فاتّخذ التّعبير بناءً جديداً "على قدمٍ وساقٍ". وقد شهدت هذه المسكوكة تطوّراً دلاليّاً ملحوظاً؛ حيث باتت اليوم تعني: "بَذْلُ قُصَارَى الْجُهُودِ".

وقد ترجع التّعابير العربيّة "على عيني" أو "من عيني" أو "بعيني" إلى قوله تعالى: "وألقيت عليك محبّةً منّي ولتصنع على عيني..." (سورة طه، الآية: 39)، حيث يخاطب اللّه سبحانه وتعالى نبيّه موسى عليه السّلام في غمرةٍ من المودّة والمحبّة. بيد أنّ تطوّراً دلاليّاً قد اعتراها، حيث صارت اليوم تدلّ على "سأفعل ذلك بكلّ فرحٍ وسرورٍ"، وحتّى دون الحاجة، أحياناً، إلى التلفّظ بها، فيستعاض عنها فقط بإشارة السبّابة إلى العين. ونشير، في هذا السّياق، إلى أنّ اللّغة العربيّة تستخدم مسكوكاتٍ كثيرةً تحيل على الدّلالة نفسها، مثل: "بكلّ سرورٍ"، و"تكرم عينك"، و"تكرم"... وكلّها تعني: "بفرحةٍ وسرورٍ"، فضلاً عن "على العين والرّأس" الّتي تعبّر بوضوحٍ، ومن خلال اسمين من أعضاء الجسد، عن صورة الشّخص الّذي يقبل تلقائيّاً طلباً أو اقتراحاً معيّناً، حيث تعمل العاطفة "الواو" على مطابقة المركّبين الاسميّين (العين والرّأس)، ووضعهما في المستوى نفسه.

3. التّعَابِيرُ الْمَسْكُوكَةُ: بعضُ الأَوْجُهِ الْبَلَاغِيَّةِ

تتجلّى خصوصيّةُ التّعابير المسكوكة في استحضارها لمختلف الصّور البيانيّة والمحسّنات البديعيّة والأشكال الخطابيّة (السّجع والجناس والثّقفية...). وهو ما تشهد عليه الأمثلة الآتية:

- "لسانك حصانك، إن صنته صانك": بمعنى: لسانك كالحصان، إذا اعتنيت به سيحميك وسيصونك بعد ذلك (ينبغي الانتباه إلى ما يقوله الشّخص):

- **الجناس غير التّامّ** (paronyme): لسانك / حصانك (تكرار الصّوتين المتقاربين مخرجاً وصفاتٍ /ص/ و/س/: حصانك، ولسانك، وصنته، وصانك)؛
- **التّجانس الصّوتيّ – الحركيّ** (assonance): المدّ الطويل (آ) في لسانك / حصانك؛
- **الجناس الاستهلاليّ** (allitération): تكرار الصّوت /س/ في (لسانك، حصانك / صنته، صانك)؛
- **التّقفية** (La rime): حصانك / صانك؛
- **السّجع:** انسجام الفاصلتين في المقطع النّهائيّ "نك": صانك / حصانك (سجعٌ متوازٍ قصيرٌ).

- يحضر الجناس والتّقفية أيضاً في التّعبير: "كلّ شيءٍ بالدّين حتّى الدّمع بالعين"، ومعناه الحرفيّ هو "كلّ شيءٍ بالقرض حتّى دموع العين" (قصر المساعدة على الّذين يستحقّونها):

- **السّجع:** كلّ شيءٍ بالدّين / حتى الدّمع بالعين (سجعٌ متوازٍ قصيرٌ)؛
- **الجناس غير التّامّ** (paronyme): الدّين / العين؛
- **التّجانس الصّوتيّ–الحركيّ** (assonance): تكرار الصّوت المضعّف "الدّال" في: (الدّين / الدّمع)؛
- **التّقفية** (La rime): بالدَّيْن / بالعين؛
- **الجناس الاستهلاليّ** (allitération): تكرار الصّوتين /د/ و /ن/ في (الدّين، الدّمع / الدّين، العين).

- يعلو صوت السّجع كثيراً في التّعبير: "عين الحسود فيها عودٌ" (الحسود معاقبٌ إن عاجلاً أو آجلاً):

- **التّجانس الصّوتيّ – الحركيّ** (assonance): يظهر ذلك في صدى المدّ الطّويل (الواو) في: حسود / عود؛
- **الجناس** (paronomase): الحسود / عود (جناسٌ غير تامٍّ)؛
- **التّقفية** (La rime): الحسود / عود؛
- **الجناس الاستهلاليّ** (allitération): تكرار المقطع /ود/ في (حسود / عود)؛

- **السّجع:** عين الحسود / فيها عود (سجعٌ متوازٍ قصيرٌ).

- يظهر الجناس (paronomase) أيضاً في التّعبير "العين بصيرةٌ واليد قصيرةٌ"؛ حيث يجمع بين لفظين متقاربين في النّطق (paronymie): بصيرةٌ / قصيرةٌ. وتأتي هذه المتواردة اللّغويّة غالباً في سياق توفّر إرادة الفعل والافتقار لوسائل الإنجاز:

- **الجناس** (paronomase): يحضر في الزّوج: قصيرةٌ / بصيرةٌ (جناسٌ غير تامٍّ)؛
- **التّقفية** (La rime): بصيرةٌ / قصيرةٌ؛
- **السّجع:** العين بصيرةٌ / اليد بصيرةٌ (سجعٌ متوازٍ قصيرٌ)؛
- **الجناس الاستهلاليّ** (allitération): تكرار الصّوت /ر/ في (بصيرةٌ / قصيرةٌ)؛
- **التّجانس الصّوتيّ–الحركيّ:** صدى المدّ الطّويل (الياء) في (قصيرةٌ / بصيرةٌ).

تحيل التّعابير المسكوكة في الأمثلة السّابقة على حكمٍ وحقائق عامّةٍ، وتتميّز بحضور سمتها الاستذكاريّة الّتي تكفلها لها "الوظيفة الشّعريّة"، الّتي سبق وأشار إليها رومان ياكبسون (Roman Jackobson) في "عوامل التّواصل اللّفظيّ". وهي ما يؤمّن رسوخها في الذّاكرة ويصونها من الضّياع.

4. التّعابير المسكوكة: جوانب من المشترك الثّقافيّ

تتقاسم بعض المسكوكات العربيّة والفرنسيّة الدّلالة نفسها حدّ التّرجمة الحرفيّة، وفيما يلي مثالان يوضّحان ذلك:

إذا كان التّعبير العربيّ المسكوك "العين بالعين والسّنّ بالسّنّ" يكافئ حرفيّاً التّعبير الفرنسيّ (œil pour œil, dent pour dent). فإنّ صدى التّعبير (s'en laver les mains) يبلغ المسكوك العربيّ "غسل يده من".

وتحيل المسكوكة الفرنسيّة الأولى (œil pour œil, dent pour dent) الّتي سبق وأشير إليها في العهد القديم (الخروج: 21، الآية: 24)، على قانون العقاب أو الثّأر (la loi du talion). وقد تمّ استبدالها في إنجيل متّى (Mathieu) ب "لطم الخدّ الآخر" (Rojtman, 2007, 155-171)*.

* يشهد هذا التّعبير تكافؤاً دلاليّاً ومعجميّاً وبنيويّاً عامّاً، حيث تلتقي العديد من اللّغات في المثل "العين بالعين، والسّنّ بالسّنّ"، ولا يتعلّق الأمر هنا فقط باللّغتين العربيّة والفرنسيّة، بل حتّى في الإسبانيّة والبرتغاليّة والإيطاليّة والرّومانيّة والرّوسيّة والبّولونيّة والتّركيّة والكوريّة والصّينيّة واليابانيّة... (Sylviane Cardey, 2005).

وقد يكون أصل التّعبير الفرنسيّ (s'en laver les mains) "غسل يده من" دينيّاً أيضاً، وهو ما أكّدته سيلفيان كاردي (Sylviane Cardey)، حيث ارتبط بحدثٍ تاريخيٍّ مهمٍّ جاء في إنجيل القدّيس متّى (Mathieu): "أخذ بيلاطس البنطيّ ماءً، وغسل يديه بحضور الحشد، وقال: "أنا لست مسؤولاً عن هذا الدّم...". ولم يقل الحاكم الرّومانيّ: "أنا أغسل يدي من ذلك"، ولكنّه قام بذلك دون أن يعبّر عنه لفظاً" ((Sylviane Cardey, 2005).). ويقترب التّعبير العربيّ "غسل يديه من" دلالةً وصورةً من المسكوكة الفرنسيّة (s'en laver les mains). ويمكن، في هذا السّياق، أيضاً أن نقول: "رفع يده عن" (retirer sa main de) أو "نفض يده من أمرٍ" (retirer sa main d'une affaire)، بمعنى كفّ وتنصّل أو تبرّأ من المسؤوليّة (المعجم الوسيط. 1972. مادّة رفع.) (/ se désolidariser de déteindre, se délaver / se désavouer d'une responsabilité ou d'une accusation)، وهي الدّلالة نفسها الّتي يحملها التّعبير الفرنسيّ السّابق، حيث تفيد التّصريح بالبراءة ورفض الاتهام والمساهمة في أيّ فعلٍ ضارٍّ قد تنتج عنه عواقب وخيمةٌ (Le Petit Robert, 1993).

ومن ثمّة فإنّ التّعبيرين السّابقين "العين بالعين والسّنّ بالسّنّ" (œil pour œil, dent pour dent) و"غسل يده من" (s'en laver les mains)، اللّذان يتمّ تداولهما اليوم، يعكسان مدى التّشابه والتّقارب الثّقافيّين الموروثين من قرونٍ طويلةٍ خلت. وقد يكون المسكوك العربيّ "عضّ على يديه ندماً" ((mordre ses mains (en se repentant) دينيّاً قرآنيّاً كذلك؛ إذ جاء في قوله تعالى: "يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً" (سورة الفرقان، الآيات: 25 – 27). وغالباً ما يتمّ تعويض اليدين في هذه السّلسلة الكلاميّة بالأصابع للتّدليل على الصّورة المجازيّة نفسها (التّوبة). ولو أنّ التّداول العربيّ يحتفظ كذلك للتّعبير المسكوك "عضّ على الأصابع" بمعنى التّهديد والوعيد.

5. التّعابير المسكوكة: تماثلٌ معجميٌّ فقط

قد تقفز الخصوصيّة الثّقافيّة على بعض المسكوكات اللّغويّة، فتعبّر عن تقاربٍ لفظيٍّ صوريٍّ بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة، ولو أنّ بينهما بونٌ دلاليٌّ شاسعٌ. ومن أمثلة ذلك:

- ضربة عينٍ (Un coup d'oeil)؛
- وضع يده على قلبه (Mettre la main sur son coeur)؛
- يد الدّهر (la main du destin)؛
- يده خفيفةٌ (Avoir la main légère).

يتركّب كلّ زوجٍ من التّعابير المسكوكة أعلاه من المكوّنات الصّورية نفسها:

التّعبير المسكوك العربيّ / الفرنسيّ = البراديغم الجسديّ + كلماتٌ متقاربةٌ دلاليّاً بين اللّغتين.

ونلاحظ، من خلال هذه المعادلة تماثلاً واضحاً بين الدّوالّ المشكّلة لهذه التّركيب، رغم أنّ مداليلها العامّة تبدي اختلافاً تامّاً:

- التّعبير الفرنسيّ الأوّل (un coup d'œil): يعني: "نظرةً سريعةً" أو "لمحةً"، ويطابقه حرفيّاً المسكوك العربيّ "ضربة عينٍ"؛ الّذي يشتمل على "ضربةٍ" الّتي تكافئ (coup)، و"عينٍ" الّتي تكافئ (œil). بيد أنّ التّركيب العربيّ يدلّ على "أصابته عينٌ شرّيرةٌ"، وهو ما يختلف دلاليّاً عن التّعبير الفرنسيّ (un coup d'œil)؛ ومن ثمّ يكون التّعبيران (un coup d'œil) و"ضربة عينٍ" متماثلين صوريّاً ومختلفين دلاليّاً.

- التّعبير الفرنسيّ الثّانيّ (mettre la main sur son cœur): يدلّ على الصّدق والبراءة؛ بينما يحيل التّعبير العربيّ "وضع يده على قلبه"، الّذي يطابقه صوريّاً، ما دام يتركّب من "حطّ" (mettre) ويده (sa main) وعلى (sur) وقلبه (son cœur)، على القلق المرتبط بالنّتائج.

- التّعبير الفرنسيّ الثّالث (la main de destin): يعني التّأثير الّذي يخلّفه الزّمن؛ بيد أنّ التّركيب الّذي يطابقه صوريّاً في العربيّة "يد الدّهر" (تقابل "يد" و"الدّهر" (la main) و(le destin) على التّرتيب) يدلّ على التّأبيد (أبداً)، ومن ذلك العبارة: لا أفعله يد الدّهر (je ne le ferai jamais) "لا أفعله أبدا".

- التّعبير الفرنسيّ الرّابع (avoir la main légère): يحيل على التّعامل برفقٍ وسلاسةٍ واعتدالٍ، بينما تنفتح السّلسلة الكلاميّة المطابقة له صوريّاً "يده خفيفةٌ" (sa main est légère)، (حيث تقابل الحدود العربيّة "يده"، وفعل الكينونة المحذوف "تكون" (يده تكون خفيفةً)، و"خفيفةٌ" الحدود الفرنسيّة (avoir) و(la main) و(légère) على التّرتيب)، على دلالاتٍ متعدّدةٍ (polysémique): "أن يكون صاحب هذه اليد لصّاً"، أو "أن يتصرّف بسلاسةٍ ولطفٍ"، فتلتحق عبر الدّلالة الثّانية بمعنى التّعبير الفرنسيّ.

وإذا تعمّقنا كثيراً في البون الثّقافيّ الّذي يفصل بين هذه التّعابير المسكوكة، نجد مفارقاتٍ كثيرةً على مستوى تأويل الدّوالّ الخاصّة بكلّ من العبارتين المسكوكتين الفرنسيّتين:

- العبارة الأولى: (baisser les bras)* (ت. ح. خفض يديه)؛
- العبارة الثّانية (lever les mains) (ت. ح. رفع يديه)؛

تكافئ العبارة الفرنسيّة الأولى (baisser les bras) دلاليّاً التّعبير العربيّ "رفع يديه" (lever ses bras)؛ حيث يقابل مدلول (baisser) الّذي يكافئه في العربيّة "نزل" بمعنى رفع (lever)، لكنّ هذا التّقابل لا يلغي التّكافؤ الدّلاليّ بين العبارتين؛ إذا وضعت في الاعتبار السّياقات الخاصّة الّتي يأتيان فيها؛ حيث يتردّد التّعبير الفرنسيّ (baisser les bras) في سياق العجز والضّعف، بينما يحضر نظيره العربيّ "رفع ذراعيه / يديه" (lever les bras) في سياق الهزيمة والاستسلام في المعارك والحروب، ومن ثمّة تكون للعبارتين الدّلالة نفسها (التخلّي عن ممارسةٍ أو متابعة عملٍ، والاستسلام، والهزيمة...) ، وهو ما عبّر عنه صلاح الميجري، حينما قال: لقد حاولنا التّأكيد، في موقعٍ آخر، على أنّ الاختلاف بين اللّغات يكمن، من بين أمورٍ كثيرةٍ، في مستوى اختيار مجالات النّقل والتّبادل، أي على مستوى اختيار الدّوالّ الخاصّة بمجالاتٍ معيّنةٍ كأجزاء الجسم أو الحيوانات أو خلال سيرورة تسمية حقولٍ محدّدةٍ، مثل: الفواكه، والخضر، والأحجار الكريمة، والآلات، والأدوات، والعادات... إذ إنّ إواليات الاشتغال هي نفسها من لغةٍ إلى أخرى، لكنّ طبيعة الحقل – الهدف هي مصدر الاختلاف.(Meijri, 1997, p.10).

وقد تُظهر بعض المسكوكات تماثلاً دلاليّاً تامّاً، ولو أنّها موسومةٌ بتغييرٍ طفيفٍ على مستوى الدّوالّ الّتي تتأسّس عليها. ويبقى البراديغم الجسديّ ضمنها متطابقاً في سائر اللّغات، ولو أنّه يحتفظ باختلافاتٍ بسيطةٍ من لغةٍ إلى أخرى:

- يده طويلةٌ ⟺ (avoir le bras long) (ت. ح. ذراعه طويلةٌ): تصل يده إلى أبعد مدى، وتتحكّم في نقطٍ بعيدةٍ؛
- عن ظهر قلبٍ ⟺ "du dos du cœur" (par cœur)؛
- أيديه ملطّخةٌ بالدّم ⟺ (avoir du sang sur les mains)؛

*يحضر الذّراع في مسكوكاتٍ كثيرةٍ باعتباره رمزاً للقوّة والحرب والسّلطة والجاه، من قبيل: ذراع النّار (le bras de feu)، وذراع العدالة (le bras de la justice)، وذراعٌ طويلةٌ (avoir les bras longs)، وذراعك لم ينهزم ولن يقهر (ton bras est invincu mais invincible)، غير أنّ "اليد" قد تعوّض الذّراع في بعض التّعابير المسكوكة الفرنسيّة والعربيّة. ويمكن الاسترشاد، في هذا الإطار، ببعض المداخل المعجميّة، وما يقدّم بصددها من معلوماتٍ مختلفةٍ للتّعرف على جانبٍ من السّمات الخاصّة بهذا التّعويض (la substitution): رفع ذراعيه (نحو / ل) السّماء، ورفع يديه (نحو / ل) السّماء: علامةٌ على الضّعف والعجز والاستعطاف والدّعاء...

-ركب رأسه ⟺ (en faire à sa tête) (ت. ح. افعل ذلك كما يحلو لك / كما تشاء)؛

-حطّ إصبعه على الجرح ⟺ (mettre le doigt sur la difficulté) (ت. ح. حطّ الإصبع على الصّعوبة)؛

-لا يستطيع أن يحكّ رأسه ⟺ (ne savoir où donner de la tête) (ت. ح. لا يعرف إلى أين يتّجه / لا يعرف لمن يعطي رأسه)؛

-من أجل سواد عينيه ⟺ (pour ses beaux yeux) (ت. ح. لجمال عيونه).

نجد في هذه السّلاسل المسكوكة المكوّنات الجسديّة نفسها، غير أنّ كلّ لغةٍ تسلك لها طريقاً خاصّاً بها في اختياراتها المعجميّة، وقد تختلف هذه الطّريق نسبيّاً من لغةٍ إلى أخرى. وغالباً ما تكون هذه الاختيارات متماثلةً، فيستبدل كلّ صنفٍ نحويٍّ بالصّنف نفسه من اللّغة الأخرى، للدّلالة على التّعبير المسكوك ذاته (الاسم، أو الفعل، أو الظّرف، أو الصّفة، أو الحرف...)، ومن أمثلة ذلك:

- **تعويض اسمٍ باسمٍ آخر**: يقابل التّعبير الفرنسيّ (mettre le doigt sur la difficulté) حرفيّاً في العربيّة "وضع الإصبع على الصّعوبة"، ويكافئُ دلاليّاً المسكوك العربيّ "حطّ إصبعه على الجرح"؛ حيث اختار اللّسان الفرنسيّ الحدّ الاسميّ (la difficulté)، بينما نزع اللّسان العربيّ إلى كلمة "الجرح" (La plaine) للتّدليل على الصّورة نفسها: "تحديد مكان المشكلة".

- **تعويض فعلٍ بفعلٍ آخر**: يكافئ التّعبير الفرنسيّ (ne savoir où donner de la tête) "لا يعرف إلى أين يوجّه رأسه" صوريّا التّعبير العربيّ "لا يستطيع أن يحكّ رأسه"؛ حيث إنّ الفعلين المكافئين ل (savoir) و(donner) هما على التّرتيب "استطاع" و"حكّ"، بمعنى أنّ الأمر يتعلّق صرفيّاً بتعويض فعلين بفعلين آخرين من اللّغة الثّانية، وتبقى الدّلالة فيهما ثابتةً، ولا تخرج عن (كثرة الانشغال). لكنّ هذا التّعويض قد يكون أحياناً لا تماثليّاً.

- **تعويض صفةٍ بصفةٍ أخرى**: تقابل في التّعبير الفرنسيّ (pour ses beaux yeux) (ت. ح. لجمال عيونه) الّذي يماثله صوريّاً التّعبير العربيّ "من أجل سواد عيونه" (ت. ح. (pour la noirceur de ses yeux)) الصّفة (beaux) "الجمال" بصفة "السّواد" المرتبطة في الثّقافة العربيّة بالعين، لأنّها تصير مع هذا اللّون أكثر جمالاً وسحراً. وقفد صارت المسكوكة الفرنسيّة تدلّ، مع التّطوّر الدّلاليّ الّذي واكبها، على بعدٍ عاطفيٍّ (نظراً لحبّي / لمودّتي له / لحبّي

له...). ويظهر في التعّبير العربّي ما يعرف في البلاغة الحديثة ب "المجاز داخل المجاز" (la métaphore dans la métaphore)، لأنّ التّغيير طال صفةً ذات طبيعةٍ محسوسةٍ بصفةٍ مجرّدةٍ، فحمل التّعبير شحنةً دلاليّةً أكثر شدّةً وعمقاً.

6. التّعابيرُ المسكُوكَة: التّماثُلُ الدّلاليُّ والمعجَمِيُّ

فضلاً عن التّفرّد والخصوصيّة اللّذين تتميّز بهما كلّ اللّغات، يتقاسم النّاس، أيضاً، تجارب مشتركةً (تملّك جسد، والإحساس، والرّؤية، والشّعور، والحبّ، والمعاناة، والتّفكير...). ونبسط فيما يلي جانباً من المسكوكات المطبوعة بهذه الخاصّية الثّقافيّة المشتركة بين الفرنسيّة والعربيّة:

- عدّ على أصابعه ⟺ (compter sur ses doigts)؛
- عضّ على أصابعه "ندماً" ⟺ (se mordre les doigts de 'regret')؛
- على بعد إصبعين من ... ⟺ (être à deux doigts de...)؛
- الكلمة على طرف لسانه ⟺ (avoir un mot sur le bout de la langue)؛
- ألسنة اللّهب ⟺ (langue de feu) (ت. ح. لسان النّار)؛
- فتح عيونه ⟺ (ouvrir les yeux)؛
- غضّ الطّرف ⟺ (fermer les yeux sur quelques choses) (ت. ح. أغمض عيونه عن بعض الأشياء)؛
- بالعين المجرّدة ⟺ (à l'oeil nu)؛
- بعيدٌ عن العين، بعيدٌ عن القلب ⟺ (loin des yeux, loin du coeur) (ت. ح. بعيدٌ عن العينين، بعيدٌ عن القلب) (لا يحيل هذا التّعبير على التّكافؤ الدّلاليّ فقط، بل حتّى على التّكافؤين المعجميّ والبنيويّ، ويقع ذلك "جزئيّاً" في لغاتٍ كثيرةٍ)؛
- قرابة الدّم ⟺ (les liens de sang) (ت. ح. علاقات الدّم)؛
- حمّام دمٍ ⟺ (bain de sang)؛
- دمٌ حامٍ ⟺ (avoir le sang chaud) (ت. ح. لديه دم حام / حارّ)؛
- بشرٌ من لحمٍ ودمٍ ⟺ (des êtres humains de chair et de sang)؛
- مصّ دم الشّعب ⟺ (sucer le sang du peuple)؛
- بدمٍ باردٍ ⟺ (de sang froid)؛

-يده مفتوحةٌ ⟺ (avoir la main ouverte) (ت. ح. لديك يدٌ مفتوحةٌ)؛

-رفع يده على فلانٍ ⟺ (lever la main sur qlq'un) (ت. ح. رفع اليد على فلانٍ)؛

-وضع اليد على... ⟺ (mettre la main sur...)؛

-مدّ يده لفلانٍ ⟺ (tendre la main à quelq'un) (ت. ح. مدّ اليد لفلانٍ)؛

-طلب يدها للزّواج ⟺ (demander la main de la fille) (ت. ح. طلب يد البنت)؛

-يداً بيدٍ ⟺ (la main dans la main)؛

-يد اللّه مع الجماعة ⟺ (la main du dieu et sur l'assemblée) (ت. ح. يد الله فوق الجماعة)؛

-في أيدٍ أمينةٍ ⟺ (être en bonnes mains) (ت. ح. في أيدٍ حسنةٍ)؛

-في متناول اليد ⟺ (à portée de main)؛

-غسل يديه من... ⟺ (se laver les mains de...) (اغتسل (se laver) وغسل (laver))؛

-يدٌ فارغةٌ ⟺ (les mains vides) (ت. ح. الأيدي الفارغة)؛

-قلبه من حجرٍ ⟺ (avoir le coeur du pieu) (ت. ح. لديه قلبٌ من حجرٍ)؛

-ما عنده قلبٌ ⟺ (être sans coeur) (ت. ح. الكينونة دون قلبٍ)؛

-على قدم المساواة ⟺ (sur le pied d'égalité)؛

- رجله في القبر ⟺ (avoir un pied dans la tombe) (ت. ح. وضع قدماً في القبر)؛

-رأسه مرتفعٌ ⟺ (la tête haute) (ت. ح. الرّأس مرتفعٌ)؛

-رفع الرأس ⟺ (lever la tête)؛

تتضمّن هذه اللّائحة، وإن كانت أبعد من الشّمول، مسكوكاتٍ متكافئةً / متماثلةً في اللّغتين الفرنسيّة والعربيّة؛ حيث إنّ العناصر المكوّنة لكلّ تركيبٍ هي تقريباً نفسها المثبتة على مستوى التّعبير الّذي يكافئها في اللّغة الأخرى، وحتّى المعاني هي ذاتها أيضاً. وقد يرجع السّبب في ذلك إلى مبدأ "الاقتراض"، إذ يمكن أن تكون إحدى اللّغتين قد اقترضت حدّاً من الحدود أو دلالةً من

الدّلالات أو تعبيراً من التّعابير من اللّغة الأخرى؛ طالما أنّ الثّقافات غير كاملةٍ أو مكتفيةٍ بذاتها، بل تنفتح على غيرها، وتغتني بثروتها اللّغويّة والحضاريّة. غير أنّ موضوع هذه الورقة ليس الإجابة عن السّؤال: "ما اللّغة الّتي تقترض من الأخرى؟" لأنّ الجواب يقتضي إجراء دراسةٍ معمّقةٍ من فريق بحثٍ موسّعٍ؛ وإن كان المعجم الوسيط قد أقرّ بأنّ عدداً وفيراً من هذه المسكوكات قد ظهر نتيجة التّحديث والعولمة في النّصف الثّاني من القرن العشرين (المعجم الوسيط، 1972).

ولم تكن التّقابلات المتكافئة الّتي جاءت بها هذه الورقة إلّا تعبيراً واضحاً عن مدى التّقارب والاحتكاك والمثاقفة الّتي وقعت خلال عقودٍ، وربّما قرونٍ، بين اللّغتين الفرنسيّة والعربيّة، وهذا دليلٌ قاطعٌ على سيادة مناخٍ ثقافيٍّ–اجتماعيٍّ متقاربٍ / متماثلٍ عند متكلّمي اللّغتين. ومن ثمّ لا يوجد ما يمنع تماثل بعض المسكوكات المتكافئة تركيباً ودلالةً في الاستعمال اللّغويّ، دون أن يقع تفسير ذلك، بالضّرورة، بظاهرة الاقتراض في حدّ ذاتها.

7. خاتمة:

توضّح المتواردات اللّغويّة المجازيّة المدروسة في اللّغتين العربيّة والفرنسيّة حقيقةً لغويّةً مفادها أنّ "الإنسان يعي العالم من ذاته من خلال جسده"؛ إذ بواسطته يستطيع الإخبار عن تجربته ورؤيته الخاصّة للعالم، لأنّه الفضاء والنّقطة المرجعيّة للملفوظات والكلمات الّتي يسمّي من خلالها الواقع، والّتي تخلق التّفاعل الّذي تُنْسَج عبره العلاقات الاجتماعيّة.

ومن بين أهمّ النّتائج الّتي توصّلت إليها الدّراسة، نذكر:

– تحيل التّعابير المسكوكة في الأمثلة السّابقة على حكمٍ وحقائق عامّةٍ، وتتّسم بحضور البعد الاستذكاريّ الّذي تكفله لها "الوظيفة الشّعريّة". وهو ما يؤمّن رسوخها في الذّاكرة الجماعيّة، ويصونها من الضّياع؛

– تظهر بعض المسكوكات العربيّة والفرنسيّة تماثلاً دلاليّاً تامّاً، ولو أنّها موسومةٌ بتغييرٍ طفيفٍ على مستوى الدّوالّ الّتي تتأسّس عليها. ويبقى براديغم الجسد ضمنها متطابقاً، رغم احتفاظه باختلافاتٍ بسيطةٍ بين اللّغتين (يده طويلةٌ وعن ظهر قلبٍ (avoir le bras long) (par cœur,) (par le dos du cœur))؛

– تتقاسم بعض المسكوكات العربيّة والفرنسيّة الدّلالة نفسها حدّ التّرجمة الحرفيّة، وتعكس مدى التّشابه والتّقارب الثّقافيّين الموروثين منذ قرونٍ طويلةٍ خلت (العين بالعين والسّنّ بالسّنّ، وغسل يده من...)؛

– تقفز الخصوصيّة الثّقافيّة على بعض المسكوكات اللّغويّة، فتعبّر عن تقاربٍ لفظيٍّ صوريٍّ بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة، ولو أنّ بينهما بونٌ دلاليٌّ شاسعٌ (ضربة عينٍ (coup d'œil) ويده خفيفةٌ (avoir la main légère))؛

– تتضمّن بعض التّعابير المسكوكة في اللّغتين المكوّنات الجسديّة نفسها، غير أنّ كلّ لغةٍ تسلك لها طريقاً خاصّاً بها في اختياراتها المعجميّة، فتستبدل لغةٌ مكوّناً نحويّاً بآخر مثله من اللّغة الأخرى للدّلالة على مضمون التّعبير ذاته: الجرح / الصّعوبة (وضع الإصبع على الجرح / (mettre le doigt sur la difficulté))؛

– رغم التّفرّد والخصوصيّة اللّذين تتميّز بهما اللّغتان العربيّة والفرنسيّة، فإنّهما تتقاسمان أيضاً خصائص ثقافيّةً مرتبطةً بالبعد الإنسانيّ (الحبّ، والمعاناة، والحنان، والتّفكير...)، من قبيل: عدّ على أصابعه / (compter sur ses doigts)، وحمّام دمٍ / (Bain de sang).

وليس هذا العمل التّقابليّ بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة إلّا مساهمةً متواضعةً يمكن إضافتها إلى أبحاثٍ تقابليّةٍ كثيرةٍ ومماثلةٍ، مثل دراسة غابريلّا فيكيتي وآنّا كرزيزانوفسكا (Gabriella Fekete et Anna Krzyzanowska, 2006). حيث يسمح، من جهةٍ، بفتح آفاقٍ جديدةٍ من شأنها تبسيط تدريسيّة التّعابير المسكوكة عند تعليم إحدى اللّغتين الفرنسيّة أو العربيّة، باعتبارهما لغاتٍ أجنبيّةً. ومن جهةٍ أخرى، يسهم في إضافة لبنةٍ أخرى في صرح التّرجمة الآليّة (TA)؛ لا سيّما أنّ أكبر عائقٍ يحول دون فعاليّة هذه الإواليّة يتعلّق بمشكلة "المعنى".

7. قائمة المراجع:

❖ العربية

- القرآن الكريم برواية ورش (السّور: القلم، وطه، والفرقان).
- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، المكتبة الإسلاميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، إستانبول، تركيا، ط. 2، 1972م.

❖ الأجنبية

- Ancien Testament, Exode 21, verset 24.
- Cardey, (S.), «Langues et cultures, systèmes et traduction», Erudit : Meta, vol. 50, no 4, (France), University de Franche-Comté, Besançon, France, 2005.
- Duneton, (C.), « Les bras de Morphée », Le Figaro, 06 janvier 2011.

- FEKETE, G. et KRZYZANOWSKA, A., «Les phrasèmes concernant les parties du corps en français, en hongrois et en polonais», in Revue du GERFLINT, Synergies / Pologne, Cracovie, 2006.
- LA BIBLE (Nouveau Testament, St Mathieu ou l'Evangile selon Mathieu).
- Le Dictionnaire Le Petit Robert, éd. (1993), éd. (2007).
- MEJRI (S.), «La mémoire des séquences figées : une troisième articulation ou la réhabilitation du culturel dans le linguistique», in La mémoire des mots, Actes du colloque de Tunis, sept. 1997, Aupelf / Uref, réseau LTT, Actualité Scientifique, Aupelf, Montréal, Canada, 1998.
- REY (A.) et CHANTREAU (S.) : Dictionnaire des expressions et locutions, Grand Livre Du Mois, Paris, France, 1997.
- Rojtman (B.), « «La métaphore de talion», Cités, février 2007, n° 30, p. 155 – 171.